

أحاديث رمضان ١٤٢٨هـ - مقاصد الشريعة - الدرس (١٥ - ٢٧) : الأمر بالمعروف  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٧-١٠-٠٥.

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات. أيها الإخوة الكرام، مع درس جديد من دروس مقاصد الشريعة الإسلامية، كنا في أركان الإسلام، وانتقلنا إلى أركان الإيمان، ثم انتقلنا إلى فقه المصائب، واليوم الحديث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

#### الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

#### ١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة سادسة:

أيها الإخوة، يكاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكونان الفريضة السادسة.

#### ٢ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علةٌ خيريةٌ هذه الأمة:

قال الله عز وجل:  
﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ  
(١١٠) ﴾  
(سورة آل عمران)  
أي: أصبحتم ببعثة النبي عليه الصلاة  
والسلام خير أمة أُخرجت للناس، ولكن  
ما علة هذه الخيرية؟ قال:  
﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ  
الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾



كنتم خير أمةٍ أُخرجت للناس

فإن كف المسلمون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقدوا خيريتهم، وكانوا أمة كأى أمة خلقها الله، وهذا معنى قوله تعالى يجيب عن هؤلاء الذين ادعوا أنهم أحباب الله وأبناءه:

﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ (١٨) ﴾

(سورة المائدة)

أي: ليس لكم أية ميزة، فالمسلمون إذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقدوا خيريتهم، وأصبحوا كأية أمة خلقها الله، لأنه هان أمر الله عليهم فهانوا على الله، لذلك في بعض الأحاديث الشريفة:

(( كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوا عن المنكر ؟ قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله ؟

قال: وأشد منه سيكون، قالوا: وما أشد منه ؟ قال كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن

المعروف ؟ قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله ؟ قال: وأشد منه سيكون ))

[ ابن أبي الدنيا وأبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي أمامة بسند فيه ضعف ]

الحالة الأولى فيها تقصير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحالة الثانية أشد بكثير، فيها النقيض، أمر بالمنكر ونهي عن المعروف، لكن في الحالة الأولى والثانية معروف ومنكر، فمرة قصرنا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومرة فعلنا العكس، لكن معالم المعروف والمنكر واضحة.

أما أخطر حالة الحالة الثالثة، قال:



(( كيف بكم إذا أصبح المعروف منكراً

والمنكر معروفاً ؟ ))

الذي يأكل المال الحرام يسمى عند الناس ذكياً، والفتاة المتقلبة تسمى بالتعبير المعاصر حضارية، والمنافق يسمى لبقاً ومرناً، القيم تبدلت أو انعكست، لذلك أخطر مرحلة تمر بها الأمة إذا أصبح المعروف منكراً

والمنكر معروفاً، وكنت أقول دائماً البيت من الشعر الذي عده أدباء العرب أهجى بيت قالته العرب:

دع المكارم لا ترحل لسبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

\*\*\*

هذا البيت شعار معظم المسلمين.

أيها الإخوة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الفريضة السادسة، وفي أية لحظة نمتنع عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نكون قد فقدنا خير بيتنا، وأصبحنا أمة كأى أمة من الأمم الشاردة عن الله عز وجل، لا شأن لها عند الله، وليست مستجابة الدعوة.

### ٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تدركه الفطرة:

لكن أيها الإخوة، هناك ملمح دقيق جداً من كلمة ( معروف ) ومن كلمة ( منكر )، هاتان الكلمتان تشيران إلى الفطرة، فأى إنسان بفطرته يعرف المعروف ابتداءً، بلا تعليم، بلا توجيه، بلا دراسة، وأي إنسان بحسب فطرته يعرف المنكر ابتداءً، الفطر السليمة تعرف المعروف، والفطر السليمة تتكر المنكر، لذلك الفطرة ما لم تتطمس فهي مقياس للمعروف والمنكر. أيها الإخوة الكرام، الإنسان إذا كان صافياً في نفسه وقلبه فإنهما ينبئانه بصواب عمله أو بخطأ عمله.

### ٤ - من صفات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أيها الإخوة الله عز وجل يقول:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

(سورة التوبة: الآية ٧١)

أضرب لكم مثلاً بسيطاً: أب له ابنة أخ زارته وهي ترتدي ثياباً فاضحة أو ضيقة، يستقبلها، ويرحب بها، ويثني على جمالها، وعلى أناقتها، وعلى دراستها، ويسألها عن والدها، ولا يخطر في بال العم ثمانية واحدة أن يلفت نظرها إلى ثيابها الفاضحة.

### ٥ - ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد أسباب هلاك الأمم:

لذلك أحد أسباب هلاك الأمم:

﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ ﴾

﴿ فَعَلُوهُ (٧٩) ﴾

(سورة المائدة)

هذا واقع المسلمين، مجاملات، مجاملات القوي أو الغني مهما ارتكب من موبقات، مهما تجاوز الحدود يمدحه



ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق

الأمر بالمعروف

الجميع، ويثني عليه الجميع، ويوقرونه ويرفعونه، لكن إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق. الأب إذا جاءه ضيف من أقربائه يكون مزاجه غير مقبول، ولا يصلي، وله تطرفات، وله انحرافات، والأب قال لأولاده: ما شاء الله هو فهميم، ذكي، ماذا فعل الأب مع أولاده؟ أوقعهم في اضطراب شديد، إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق، بل ينبغي أن تكون دقيقاً في كلامك، لأن المديح يعني أنك تقره على عمله.

## ٦ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تضيق لدوائر الباطل، وتوسع لدوائر الحق:

فيا أيها الإخوة الكرام، ما لم يكن هناك أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر فالمشكلة كبيرة جداً، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يضيق دوائر الباطل، ويوسع دوائر الحق. اشترى إنسان الخمر، وركب مركبة عامة، فالسائق بدافع من ورعه وغيرته على هذا الدين ما سمح له أن يركب، وكان في أزمة سير خانقة، يقول هذا الذي اشترى الخمر، ولم يقبل السائق أن يركبه معه، يقول: والله هذا السائق أحد أسباب توبتي، وقف ساعة ونصف ولم يجد سيارة، لأنه حامل للخمر، فلذلك ندم.

هناك طبيب قلب بعد أن أجرى عملية جراحية قدمت له هي هدية زجاجة خمر غالية جداً، فرفضها بشدة، فقال له الذي قدمها له: قدّمها لمن تريد، قال: أنا لا أشرب الخمر، ولا أقدمه هدية لأحد، يقول هذا المريض الذي شفي من عملية خطيرة: والله هذا الطبيب سبب توبتي. سائق سيارة على خط بيروت دمشق جاءه شاب وشابة ليركبا معه من بيروت إلى دمشق، ركبا، قالوا له: انتظر ربع ساعة سوف تأتي حقيبة فاننظر، يبدو أن الوقت طال عن ربع ساعة، فالسائق ضجر، ثم جاء رجل كبير في السن في سن السبعين حاملا حقيبة على رأسه، وقدمها، فهذا الشاب ضربه على رأسه، قال له: لماذا تأخرت؟ السائق ما انتبه، وضعت المحفظة، وانطلقت السيارة، بعد ربع ساعة من سير المركبة تقول هذه الشابة زوجته للشاب: أيق لك أن تضرب أبك؟ فأوقف السائق المركبة، قال له: هذا أبوك؟! أنزل وهذا المبلغ، هذا السائق على بساطته، وعلى ثقافته المحدودة لقن درسا لهذا الشاب لا ينسى.

لو أن كل واحد منا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر الباطل تضيق دوائره، لكن كل واحد منا يسكت فيؤثر السلامة، وما يريد أن يخرج أحدا، ولا يريد أن ينكشف اتجاهه الديني ولا يريد أن يُسأل، هو يمشي مستقيما، وانتهى أمره، لذلك قال تعالى:



المُصلح يتكلم كلمة الحق

الأمر بالمعروف

## ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصَلِحُونَ ﴾ (١١٧)

(سورة هود)

صالحون يُهلكون، أما المصلح فيتكلم كلمة الحق. أخ حدثني دخل مكتبا تجاريا فيه موظفة متقلنة كثيرة في زيها، وصاحب المكتب محسوب على المسلمين، فعاتبه على هذه الموظفة، قال له ك جزاك الله خيراً، والله منذ ستة أشهر ما حدثني أحدٌ عنها كلمة إلا أنت، بارك الله فيك، وصرفها. إن الإنسان المحسوب على المسلمين لا ينبغي أن يعين عنده امرأة متقلنة، وأنت أيها المسلم لا تكلفك كلمة الشيء الكثير. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الفريضة السادسة، وهي علة خيريتنا، فإن لم نفعل نفقد خيريتنا، ونصبح أمة كأبي أمة خلقها الله عز وجل.

### من ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

#### ١ - عدم إنكار شيء مختلف في كونه منكراً:

ولكن ينبغي ألا تتكر منكراً فيه خلاف بين المذاهب، لا تتكر إلا المنكر المتفق عليه. إذا مست يدُ إنسانٍ يدَ زوجته وما توضحاً، هو حنفي المذهب، فإذا كنت شافعي المذهب أيقق لك أن تتكر عليه؟ ليس إنكارك معقولاً، فلا تتكر إلا المنكر المتفق عليه.

#### ٢ - لا تتكر منكراً ينتج عنه منكر أشد منه:

شيء آخر لا تتكر منكراً ينتج عنه منكر أشد، هذا شيء متفق عليه، إذا أنكرت منكراً نتج عن هذا الإنكار منكر أشد بألف مرة من الذي أنكرته فأنت بهذا خالفت منهج رسول الله.

### مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الإنكار يكون تارة بالقلب، وتارة باللسان، وتارة بالفعل، بعض العلماء قالوا: الإنكار باللسان مهمة العلماء، والإنكار باليد مهمة الأمراء، الأمير معه سلطة.

مثلاً صدر بلاغ والله أنا أثني عليه كثيراً، الإعلان عن الدخان غرامته خمسون ألف ليرة في بلدنا، لا إعلان عن الدخان إطلاقاً، فالقوي بتوقيع ألغى الإعلان عن الدخان، وانتهى الأمر، لذلك القوي هو المكلف بالإنكار باليد، أما العالم فمهمته الإنكار باللسان. لكن الله عز وجل هو الذي يوفق الدعاة إلى إنكار المنكر، وإلى إصلاح البشر،



الإنكار باللسان مهمة العلماء والإنكار باليد مهمة الأمراء

لذلك الحسن البصري أنكر منكراً في عهد الحجاج، فبلغ الحجاج ذلك فغضب أشد الغضب ، وقال: يا جبناء والله لأروينكم من دمه، وأمر بقتله، فجاء بالسياف، ومد النطع، وكلف من يأتي به من بيته ليقطع رأسه أمام من حوله، فجاء الحسن البصري، ودخل على الحجاج، رأى السياف واقفاً، والسياف في يده، والنطع قد مد، ففهم القصة كلها، حرك شفثيه بكلمات لم يفهما أحد، فإذا بالحجاج يقف له، ثم يقول: أهلاً بأبي سعيد، أنت سيد العلماء، وما زال به يقربه من مجلسه حتى أجلسه على سريرته، واستفتاه، وضيّفه، وعطره، وشيعه إلى باب القصر، الذي صعق هو الحاجب والسياف، فتبعه الحاجب، وقال له: يا أبا سعيد، لقد جيء بك لغير ما فعل بك، فماذا قلت لربك؟ قال: قلت له: يا ملاذي عند كربتي، يا مؤثني في وحشتي اجعل نقمته علي برداً وسلاماً كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم.

### المنكر للمنكر تحت العناية الربانية:

لما تتكر المنكر يمكن بحسب تركيبية المجتمع الذي أنت فيه، أو بحسب التقاليد والعادات التي أنت فيها قد تدفع الثمن باهظاً، لكن الله عز وجل يتولاك بالعناية، فيخضعك لقانون العناية الإلهية، فهذا الذي أنكرته تزداد قوة بإنكار المنكر، وتضعف كثيراً حينما تجبن عن النطق بالحق. إن الإنسان أحياناً يدعى إلى طعام على المائدة خمر، يقول لك: أنا معي قرحة، لا يا أخي، قل: أنا مسلم، وهذا حرام، وهناك حالات كثيرة جداً عن الأجانب لما يمتنع إنسان عن شرب الخمر، أو على الجلوس على مائدة فيها خمر يقدرونه تقديراً كبيراً، وقد يعطونه الوكالة، لأنه إنسان أخلاقي. والله بلغني الآن أن في الصين إذا جاءهم إنسان يريد وكالة يرسلون له فتاة إلى غرفته الساعة الثانية عشر، فإن أدخلها لا يعطى الوكالة، وإن رفضها فهو إنسان أخلاقي له مبدأ يحكمه.

## الفرق بين النصيحة والفضيحة:



الدين نصيحة وليس فضيحة

يا أيها الإخوة الكرام، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وفريضة سادسة، لكن الفرق كبير بين النصيحة والنصيحة، فإنك إن أردت إنكار منكر في إنسان فأنكره بينك وبينه من دون أن تفضحه، هذه هي الحكمة، والإنسان أحياناً أمام المجموع يتشبث بخطئه، ولا يتراجع، لكن بينك وبينه بكل أدب يمكن أن يستجيب لك ؛ ولك أجر كبير جداً.

على كلٍّ، لو أن إنكار المنكر كان مخالفاً للعادات والتقاليد في بلد ما، لكن الله سبحانه و تعالى يخضع هذا الذي أنكر المنكر وأمر بالمعروف إلى قانون العناية الإلهية والحفظ الإلهي، فدائماً وأبداً يمكن أن تستنبط من حركة الحياة قواعد معينة. لكذلك إذا ابتغيت وجه الله عز وجل وإرضاءه، و تحصين المسلمين من أخطائهم يمكن أن تصل إلى أعلى مستوى.

## أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في واقع الناس:

أنا أذكر مرة طياراً من أمهر الطيارين رفض أن يقود طائرة يوزع فيها الخمر، نظراً لتفوقه صدر قرار بمنع توزيع الخمر في طائرة يقودها هذا الطيار، بعد حين الشركة خجلت من هذه التفريقة فأصدرت قراراً بمنع تقديم الخمر على طائراتها، هذا موقف جيد. وأذكر مرة أن لاعب كرة اعتزل اللعب، وكان متفوقاً جداً، واعتزل، واصطاح مع الله، وارتدى ثياباً ساترة، ففي مباراة مهمة جداً دولية جاء الوزير إلى بيته، وزير الشباب يرجوه أن يقبل بالاشتراك بهذه المباراة، قال له: بشرط أن أرتدي ثياباً سابلة طويلة، فقبل منه ذلك، وسرت هذه العادة بين كل اللاعبين الملتزمين.

أنت أحياناً بكلام أو بملاحظة قد تحيي معروفاً، وقد تنكر منكراً فلا تزهد، وأحياناً كلمة منك تنقذ أسرة.

والله أيها الإخوة، على غير المتوقع يمكن لملاحظة تقدمها لفتاة من قريباتك، ابنة أخيك تسبب تدينها وحجابها، ويمكن ملاحظة تقولها لتاجر يرتدع عن معاملة فيها ربا، فأنت لا تعرف الخير من كلمة تقولها، فلا تبخل بكلمة حق تقولها بأدب لأي إنسان، لذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من لوازم هذا الدين وهو الفريضة السادسة.

لكن بتلطف، عفواً، هل هناك أكثر من فرعون لأنه قال:

﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى (٢٤)﴾

(سورة النازعات)

ولأنه قال:

﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي (٣٨)﴾

(سورة القصص)

ماذا قال الله عز وجل لسيدنا موسى وأخيه هارون؟

﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾

(سورة طه)

قولاً قولاً لئناً لمن قال: أنا ربكم الأعلى.

إذاً: مَنْ أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف، وَمَنْ نهى عن منكر فليكن نهيه بغير منكر. إن شاباً صلى إلى جانبه شيخ وقور، أعجبتة صلاة الشاب، فأنتى على صلاته، قال له: حرماً، يعني إن شاء الله تصلي في الحرم المكي، هذا الشاب محدود جداً، متشدد جداً، تجهم وجهه، وجحظت عيناه، قال له: هذا لم يرد في السنة، قال له الشيخ الوقور: وهل ورد في السنة قلة الذوق، مَنْ أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف، ومن نهى عن منكر فليكن نهيه بغير منكر.

والحمد لله رب العالمين